

الموضوع: مميزات الثورة

المناسبة: خطبة صلاة الجمعة

الزمان والمكان: 3/رمضان/ 1415هـ . ق 1373/11/14هـ ش. طهران

الحضور: جمع غفير من المؤمنين

الخطبة الأولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونشكره ونؤمن به ونتوكلّ عليه، ونصلّي ونسلمّ على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه حافظ سرّه ومبلّغ رسالته سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيّبين الأطهرين المنتجبين المعصومين، سيّما بقيّة الله في الأرضين، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

التزود من شهر رمضان

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾¹.

أدعو جميع الأخوة والأخوات المصلّين إلى التزوّد من هذا اليوم ومن هذا الشهر ومن هذه الأيام المباركة والساعات العظيمة التي لو نظرنا إليها بعين البصيرة وبقلب نير، لعرفنا قيمة هذه الليالي والأيام والدقائق في سعادتنا ومستقبلنا ومعنوياتنا ودنيانا؛ لأنّ الله المالك للوجود والخالق للخلق والذي بيده كلّ شيء هو الذي أصفى الشرف والمكانة السامية على هذه الأيام والساعات، وقد شرفنا - بإذنه وهداه - للاستفادة من هذه الساعات والليالي والأيام المباركة.

وأنّ أفضل الزاد في هذه الساعات المباركة هو الأُنس بالله سبحانه وتعالى والتوجّه إليه والتعلّق به والطلب منه ومناجاته، وليكن أعزّ شيء تسألون الله هذا الشهر وفي هذه

الأيام هو التقوى (واخرجني بتقواك ولا تشغلني بمعصيتك) (2) فالسعادة في التقوى،
والدنيا في التقوى، والآخرة في التقوى،
فاسألوا الله أن يهبنا قلوباً تقيّة، أي أن قلوبنا وبدلاً من أن تتجذب نحو الأهواء
والشهوات ونحو الأهداف الدنيويّة والماديّة والشخصيّة الحقيرة، تكون الإرادة الإلهيّة
هي التي تجذبها ويكون حبّ الله هو الذي يجذبنا، وليكن هذا الجانب هو الذي يطغى
على جميع أعمالنا وتصرفاتنا.
هذه كانت الوصيّة الأولى للخطبة.

في الخطبة الأولى أريد التحدّث باقتضاب فيما يخصّ شهر رمضان المبارك، وفي
الخطبة الثانية سيكون لي حديث حول عشرة الفجر المباركة هذه الأيام التي تعتبر عيد
الثورة وعيد التاريخ الإيراني وعيد إمامنا العظيم (رض).
أما بخصوص مسألة شهر رمضان المبارك فقد اخترت عدّة فقرات من الدّعاء
الرابع والأربعين من الصحيفة السجّاديّة، وهو دعاء مختصّ بشهر رمضان، وكان يدعو
به B إذا دخل شهر رمضان، وسأقرأ لكم هذه الفقرات، وأرجو من أعزائي ولاسيما
الشباب أن يأنسوا بالصحيفة السجّاديّة، فما في هذا الكتاب هو دعاء في الظاهر أمّا في
الباطن فهو كلّ شيء.

والإمام السجاد B في هذا الدعاء كبقية أدعية الصحيفة السجّاديّة مع أنه في مقام
الدعاء والتضرّع ومناجاة الباري عزّ وجلّ، إلّا أنّ كلامه يسير وفق أسلوب استدلالي
وترتيب (المطلب على الدليل) و(المعلول على العلة).
وهذه الميزة موجودة في أغلب أدعية الصحيفة السجّاديّة لو تأملنا فيها، فكلّ شيء
مرتب ومنظم، وكأنّ هناك شخص جالس أمام مستمع ويتكلّم معه بصورة استدلاليّة
ومنطقيّة. ونفس المناجاة الموجودة في الصحيفة السجّادية هي كذلك أيضاً.
ونفس الطريقة متّبعة في هذا الدعاء أيضاً.

فهو B يقول في أول الدعاء: (الحمد لله الذي جعلنا من أهله) أي أننا لسنا أهلاً أن
نحمد الله ونشكره على نعمه وآلائه، إلّا أنّه سبحانه وتعالى فتح أمامنا طرقاً وسبلاً
لنصل من خلالها إلى حمده وثنائه، ونبلغ الغايات والأهداف التي عينها لنا عزّ وجلّ،
وقد وضع أقدامنا على تلك السبل والطرق.

(2) اللهم لعلني أخشاك كأنى أراك وأسعدني بتقواك ولا تشغلي بمعصيتك وجزلي في فضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب
تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت...» قسم من دعاء عرفة لإمام الحسين (ع). مفاتيح الجنان.

ثمّ يصل إلى هذه الفقرة من الدعاء: (والحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره، شهر رمضان)⁽³⁾. أي الحمد لله الذي جعل من تلك السبل التي توصلنا إلى الكمال وتبصرنا بمعدن العظمة شهر رمضان، والذي عبّر عنه بشهره.

فـ (شهر الله) له معني كبير جدًّا لو فكّرنا في ذلك.

فكلّ الشهور هي شهور الله، ولكن حينما يحدّد مالك الوجود قسماً من الوجود وينسبه إلى نفسه بالخصوص، فهذا يعني أنّ الباري عزّ وجلّ يولي ذلك القسم من الوجود عناية وأهميّة خاصّة، وواحدة من تلك الأقسام من الوجود هو (شهر الله) ونفس هذه التسمية تكفي في عظمة شهر رمضان.

ثمّ يقول (عليه السلام): "شهر الصيام، وشهر الإسلام" فهو شهر الصيام، حيث أنّ إحدى الوسائل المؤثّرة جدًّا في تهذيب النفس وتربيتها هو تحمّل الجوع ومقاومة الأهواء والشهوات.

"وشهر الإسلام" أي شهر (إسلام الوجه لله) يعني التسليم لله، فلماذا يتحمّل هذا الشاب الجوع والعطش ويقف في مقابل جميع الغرائز التي تقوده نحو الأهواء والشهوات؟ إنّه يتحمّل ذلك امتثالاً لأمر الله.

وهذا هو التسليم لله تبارك وتعالى، ولا يوجد لدى المسلم في أيّ يوم عادي من أيّام السنة وبالصورة الطبيعيّة كلّ هذا التسليم لله كالذي يكون لديه في أيّام شهر رمضان وفق الصورة الطبيعيّة، إذن هو شهر الإسلام وشهر التسليم.

ثمّ يقول (عليه السلام): "شهر الطهور" ففي هذا الشهر يوجد شيء يطهّر أرواحنا، فما هو ذلك الشيء؟ إنّه الصيام، وتلاوة القرآن، والدعاء والتضرّع، وكلّ هذه الأدعية هي موائد الضيافة الإلهيّة في هذا الشهر المبارك.

وهي وسائل طيّبة وطاهرة وضعها الباري عزّ وجلّ أمام الناس، وكما قال الإمام (رض): "إنّ مُضَيِّفَكُم في ضيافة الصيام هذه هو الله سبحانه وتعالى" نعم، الصيام هو إحدى الموائد الإلهيّة التي أعدّها الله للناس.

كما أنّ القرآن الكريم هو إحدى تلك الموائد، وكلّما تكون استفادتكم أكبر من هذه الموائد ستكون بنيتكم المعنويّة أقوى، وستكونون أقدر على تحمّل الصعاب في طريق الكمال والسمو، وستكون السعادة أقرب إليكم.

(3) الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين (ع): 212.

ثمّ يقول (عليه السلام) : و"شهر التمحيص". التمحيص هو تنقية النقي أي نكون نقيين وخالصين من خلال هذا الشهر.

التوبة تنقية النفس من الذنوب

أعزائي، إعلموا أنه يكمن في وجودكم عنصر نفيس وثمان جداً، وللأسف قد مُزج في كثير من الحالات بالتراب والنحاس وأشياء أخرى لا قيمة لها، وإنّ في داخل نفوسكم حرباً قائمة مُزجت بالأشواك، وإنّ جميع الجهود والمسااعي التي بذلها الأنبياءؑ كان الهدف منها هو أن نتمكّن من تنقية ذلك العنصر الثمين في نفوسنا من الشوائب، كما أنّ الإختبارات الإلهية كلّها من أجل تحقيق هذا الهدف، والشدائد التي نتعرض لها في الدنيا هي من أجل تحقيق هذا الهدف، والتكاليف الشاقّة التي يضعها الباري على الناس هي لتحقيق هذا الهدف، والجهد في سبيل الله لتحقيق هذا الهدف أيضاً. وإنّ السبب الذي جعل الشهيد يحوز كلّ هذه المنزلة العظيمة عند الله عزّ وجلّ هو أنّه بجهاده العظيم قد وضع نفسه في طريق التضحية، وبهذا استطاع تنقية نفسه من جميع الشوائب التي تعلق بها.

فالتنقية هنا هي كنتنقية الذهب ممّا يعلق به من شوائب، وهذا الشهر هو شهر التنقية. ولو نظرنا بإمعان لوجدنا أنّ التنقية في هذا الشهر هي أيسر وأسهل من الطرق الأخرى للتنقية، فبإمكاننا تنقية أنفسنا في هذا الشهر المبارك بالصيام ومجاهدة النفس. إنّ أغلب الضلال والانحراف الموجود في العالم، إمّا أن يكون ناشئاً من الذنوب والمعاصي التي تصدر منّا، أو من الخصال السيئة الموجودة فينا ﴿ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾ فعاقبة المعاصي هي الضلال؛ ما لم يتلأأ نور التوبة في قلب الإنسان.

والذي جعل الأئمة (عليهم السلام) يؤكّدون علينا دوماً - بأنكم إذا أذنبتم فبادروا إلى التوبة عقب ذلك الذنب، واندموا على تكرار المعصية، صمّموا على ألاّ تصدر منكم معصية فيما بعد- هو أنّ السقوط في مستنقع المعصية هو شيء خطير للغاية، ففي بعض الأحيان يصل الإنسان إلى مستوى لا يكون لديه طريق للعودة، هذا هو أحد أسباب الضلال الذي يحصل للإنسان، أمّا السبب الآخر فهو الخصال السيئة الموجودة في نفس الإنسان، ودور الخصال السيئة أكبر من دور المعاصي الفعلية التي يرتكبها

(4) سورة الروم، الآية: 10.

الإنسان. فلو أننا كنا متكبرين، ولو كنا أنانيين، ولو كنا مستبدّين بآرائنا ونخطئ الجميع في كل شيء وفي كل حديث وكل نظرية، ونقول نحن الذين نفهم بشكل صحيح فقط، ونحن الذين نعمل بشكل صحيح فقط، ولا نصغي لاستشارة ولا لكلام حق ولا لمنطق ولا لاستدلال، فلو تأصل الحسد في نفوسنا بحيث أصبحنا نرى الجميل قبيحاً، ولم نكن على استعداد للإقرار بالحقيقة الناصعة التي تقع في مكان ما، ولو صدنا حب الشهرة وحب المال وحب المنصب عن القبول بالحق، فهذه جميعها من الصفات الخطيرة التي تبعث على الضلال في حياة الإنسان.

فأغلب الذين تشاهدونهم ضلّوا في العالم كان ضلالهم عن هذا الطريق، وإلا (كل مولود يولد على الفطرة) (5) والطهارة موجودة في جميع النفوس، والجميع لهم ضمير يقبل بالحق، إلا أنهم يغطوا على هذا النبع الوضّاء بالأهواء النفسية والخصال السيئة، التي يكون بعضها وراثياً، وبعضها إكتسابياً.

وأنا أقول لكم: إنّ علماء الأخلاق - والأخلاق هي إحدى فروع العلوم أيضاً، وبالرغم من أنّ الأخلاق العملية لها قيمة كبيرة بالنسبة لنا، إلا أنّ هناك أخصائيين في هذا المجال كما يوجد أخصائيون في المجالات الأخرى - يقولون: إنّ بإمكان الإنسان تغيير حتى الأخلاق الوراثية، فبإمكاننا تغيير التكامل الذاتي والطمع الذاتي والبخل الوراثي والحسد الوراثي والعناد الوراثي.

فالبعض معاندون ومهما وضع الإنسان أمامهم من حقائق فإنهم يصرون على موقفهم المعاند، وهذا من شأنه أن يُبعد الإنسان عن الحقيقة.

وحينما يعاند الإنسان أوّل الأمر يدرك نور الحقيقة شيئاً ما، ولعلّه يشعر بأنّ موقفه موقف معاند، ولكن حينما يتكرّر ذلك منه فإنه سوف لن يدرك بأنّ باطناً كاذباً وإيماناً بعقيدة باطلة يتكوّن لديه، بحيث أنه إذا رجع إلى نفسه وتعمّق فيها فسيرى أنّ تلك ليست عقيدة وليست ناشئة من أعماق النفس بل هي شيء في ذهنه فقط، إلا أنّ العناد لا يدع صوت الحقيقة ونداء الحق يصلان إلى قلب الإنسان.

وقد رأيتم الذين وقفوا بوجه الإسلام والثورة الإسلامية وخطّ الإمام، وهذه الأحقية الواضحة للشعب الإيراني، فإلى أي حدّ ظلم الشعب الإيراني.

(5) الكافي ج2: 13. باب فطرة الخلق على التوحيد.

يا أمير المؤمنين يا علي بن أبي طالب! يا أقوى إنسان والأكثر مظلومية على طول التاريخ! يوجد اليوم في العالم شعب من شيعتك، هم مثلك أقوى الشعوب وأكثرها مظلومية.

حقاً إنَّ الشعب الإيراني هو اليوم أقوى الشعوب.

وبمحاسبة بسيطة لا يوجد شعب في العالم بهذه القوة والافتقار، وتلك المحاسبة هي: إنَّ شعوب العالم وبالرغم من وجود الافتقار العلمي والاقتصادي والصناعي، وبالرغم من وجود بعض الخصال الحميدة كالجديّة في العمل و... لا يوجد لديها مانع وراذع صحيح أمام الشهوات والأهواء النفسيّة، بينما الشعب الإيراني في ظلّ التمسك بالتدين والتقوى، فإنَّ شبابه في عنفوان شبابهم يغضون الطرف عن لذائذ وشهوات لا يغضّ أيّ شاب نظره عنها.

ففي أيّ مكان من العالم يمكنكم العثور على مثل هذه الحالة.

أقسمكم بالله يا أصحاب الضمائر الحيّة في العالم يا مَنْ لا تريدون الإجابة عناداً على هذا الكلام، في أيّ مكان من العالم يمكنكم العثور على شاب سليم وقوي، يغضّ طرفه عن شهوة محرّمة ميسرة وموفّرة لديه، يغضّ الطرف عن الشهوات الطبيعيّة، وهؤلاء الشباب ليسوا واحد ولا اثنين ولا مائة ولا ألف، بل عدد هائل من شباب الشعب الإيراني هم على هذه الصفات.

طبعاً، يوجد عندنا من أصحاب الشهوات وأتباع الهوى، وأناس منحرفين كبقية الشباب في العالم، ولكن الشباب المؤمن المتذكّر والخاشع والخاضع والمتعبّد المتقي موجود في جميع أرجاء إيران، فأين يوجد أمثال هؤلاء الشباب في العالم؟ هذا الشعب بهذه القوة وهذه المظلومية، وقد سمع الكثير بنداء المظلومية هذه ولم يكونوا على إستعداد لسماح نداء الحقّ بسبب العناد، فطبعاً، سيؤدّي هذا الأمر بهم إلى الضلال.

وهذه الخصال السيئة الكبيرة تبدأ في الغالب من أمور صغيرة، وشهر رمضان هو شهر يمكن فيه جبران ذلك من خلال هذا التوجّه وهذا التذكّر.

ففي دعاء أبي حمزة الثمالي توجد هذه العبارة التي تهزّ نفس الإنسان: "وأعلمُ أنّك للراجين بموضع إجابة وللملهوفين بمرصد إغاثة، وأنّ في اللهب إلى جودك والرّضا بقضائك عوضاً من منع الباخلين ومندوحة عمّا في أيدي المستأثرين، وأنّ الراحل إليك قريب المسافة، وأنّك لا تحتجب عن خلقك إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك"، فالداعي

يقول: يا إلهي إنني رجّحت الأمل فيك على الأمل في غيرك، وجعلت اللجوء إليك بديلاً عن اللجوء إلى غيرك، واعلم أنّ من يتّجه إليك فإن الطريق قريب أمامه. فأينما كنتم وفي أيّ زيّ كنتم وفي أيّ عمر كنتم، أيّها الشباب! أيّتها الفتيات! أيّها الرجل! أيّتها المرأة! أيّها الشيوخ! أيّتها العجائز! أيّها الفقراء! أيّها الأغنياء! أيّها العلماء! يا أصحاب الثقافة المتوسطة! لو شعرتم بالحاجة إلى الله - وهو شعور يحسّ به كلّ إنسان صالح - فاعلموا أنّ الله قريب منكم، ولو توجّهتم إلى الله لحظة واحدة فستسمعون الجواب الإلهي؛ فلا يمكن أن ينجي الإنسان ربّه ثمّ لا يسمع الجواب الإلهي. فحينما ترى قلبك قد خضع فجأة، وحينما ترى أنّ روحك ترفرف، وحينما ترى دموعك تجري، وحينما ترى أنّ الطلب من الله ينبع من أعماق وجودك فهذه كلّها دلائل الجواب الإلهي، والجواب اللاحق هي الإجابة، إجابة هذه الطلبات والحاجات إن شاء الله (واسألوا الله من فضله) (6).

فاسألوا الله، "وليس من عادتك أن تأمر بالسؤال وتمنع العطيّة" اسألوا الله، فهل يمكن أن تسألوا الله ولا يعطي؟ وهل يمكن تصوّر ذلك؟ طبعاً - إنّ الظروف الزمانيّة والمكانيّة وخصوصيّاتهما كلّها مؤثّرة في إجابة الدعاء.

فعظّموا شهر رمضان وادعوا الله لسعادتكم، لتقواكم، لمستقبلكم، لأولادكم، لتقدم هذا الشعب العظيم وهذه الثورة العظيمة، للقضاء على الأعداء، لفشل الظالمين، للتقدّم في العمل بالنسبة للذين يبذلون الجهود لخدمة هذه البلاد، لإدخال السرور على روح ذلك الرجل العظيم الذي تحقّقت كلّ هذه المنجزات ببركة إرادته وإيمانه وتقواه وإقدامه، والذي نسأل الله أن يحشره في الملاء الأعلى مع أرواح الأنبياء والأولياء.

* * *

الخطبة الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى المصطفين من آله وأهل بيته، علي أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة

فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة وعلي بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد بن علي وعلي بن محمّد والحسن بن علي والخلف القائم المهدي، حججك على عبّادك، وأمانك في بلادك، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين. أوصيكم عباد الله بتقوى الله.

أدعو جميع الأعزّاء - الأخوة والأخوات - إلى رعاية والتزام التقوى في جميع الأمور.

في هذه الخطبة سنسلط الأضواء على هذه الثورة العظيمة. لقد تكلموا في الثورة وعن ما قيل عنها كثيراً ابتداءً من إمامنا العظيم (رض) الذي كان الفاتح لهذا الطريق، والمتقدّم الأوّل في هذا الصراط المستقيم، وانتهاءً بكلّ الذين تحرّكوا في هذا الطريق وعملوا شيئاً في هذا السبيل وكسبوا معرفة وتحدّثوا بحديث، طبعاً تحدّثوا في هذه الأحاديث عمّا هو مؤثّر ومفيد جداً.

وهنا أريد ذكر هذه الجملة الإعتراضية، وهي: نحن أبناء الشعب الإيراني بالرغم من أنّنا الذين لمسنا الثورة بكلّ وجودنا، إلّا أنّنا قليلاً ما قمنا بتحليلها وتقييمها، خلافاً للأجانب الذين ارتبطوا بهذه الثورة من بعيد أو قريب، والذين كان وما زال من بينهم ممّن دخل هذا الميدان بأهداف سيّئة.

والآن فإنّهم ينفقون الأموال التي لو قلنا أنّها تبلغ المليارات لم نبالغ في ذلك، وكلّ ذلك من أجل أن يوصلوا صوتهم إلى أبناء الشعب ويثبتوا أمراً - ولو من خلال تحاليلهم الكاذبة - قد نفتته الثورة، أي أنّنا يجب أن نعترف أنّ تحليل الثورة هو أمر يبذل فيه الأعداء اليوم جهوداً أكثر ممّا نبذل فيه نحن، وهم يقومون بهذا العمل بهدف قلب نداء الثورة وإظهار الحقيقة خلافاً لما هي عليه؛ تلك الحقيقة التي وقعت أمام أنظار الشعب الإيراني وعلى يد أبنائه.

وعلى هذا يجب جمع الأحاديث التي تحدّث بها أبناء الثورة عن ثورتهم وتبويبها وأنّ ينجز عليها عمل ثقافي صحيح، والذي لم ينجز من قبل أو أن ما أنجز كان قليلاً جداً، وأن لا يكون ذلك مانعاً أمام شبابنا ليفهموا الحقائق.

فاستمعوا للأحاديث التي تحدّثت بها شخصيات الثورة والناطقين باسمها الثلاثة عشر عاماً وتأمّلوا فيها جيّداً.

مزايا الثورة الإسلامية في إيران

أود اليوم أن أتحدث إليكم من بعض مزايا وجوانب الثورة الإسلامية. فإحدى النقاط التي قليلاً ما تمّ التعرّض لها في باب هذه الثورة هي، أنّ ثورتنا العظيمة كانت ثورة استثنائية في نوعيّة الانتصار الذي حقّقتّه، يعني أنّ ثورةً شعبيّةً بهذه الأبعاد الشعبيّة العظيمة انتصرت من خلال تواجد أبناء الشعب في الشوارع، وفي المدن والقرى وممارسة الجهاد ضدّ النظام الحاكم.

فمثل هذه الثورة لم يكن لها نظير ولا سابق في الثورات المعاصرة على أقلّ تقدير. فجميع الثورات الأخرى التي وقعت في العالم حتّى ذلك التاريخ (تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة) ومنها الثورات اليساريّة والماركسيّة في أمريكا اللاتينيّة وأفريقيا وآسيا والمناطق الأخرى من العالم كانت من نوع آخر.

فهذه الثورة لم تنتصر بواسطة مجموعة ثوريّة مسلّحة، طبعاً كان يوجد في إيران بعض الأحزاب التي كانت تقوم بالأعمال المسلّحة، إلّا أنّ تلك المجموعات والأحزاب كانت قد شلّت عن العمل تماماً حوالي عامي (1975 - 1976م)، وبإمكانكم أن تسألوا أولئك الذين كان لهم تواجد فعّال في مجال الثورة في تلك الأيام فقد شاهدنا ذلك بأمّ أعيننا.

وعلى الشباب الذين لا يملكون معلومات مباشرة عن الأوضاع والظروف في تلك الفترة أن يسألوا الذين كانوا يعيشون في قلب الأحداث في تلك الأيام.

ففي الأعوام 1975 - 1976م وحتى 1977م خرجت المجموعات التي كانت تقوم بالنشاطات المسلّحة من ساحة المواجهة تماماً؛ سواء أولئك الذين كانت لهم أفكار ماركسيّة، أو الذين كانوا يحملون أفكاراً إلتقاطيّة، وقد تحوّل نشاطهم إلى أن يفجّروا قنبلة في زاوية ما من هذه البلاد أو القيام باغتيال شخص في مكان ما، وكلّ تلك الأعمال والنشاطات بالقياس إلى ما يقع اليوم في دولة كالدول العربيّة (ولا نريد ذكر أسماء) - فأنتم تسمعون أنّ الإسلاميين في تلك الدول العربيّة يقومون ببعض الأعمال المسلّحة ولديهم مواجهات مع السلطات الأمنية هناك - وما كان يقع في إيران في تلك الفترة لا يساوي عشر ما يقع هذه الأيام في تلك البلدان العربيّة، فلاحظوا كم أنّ هؤلاء الإسلاميين قرييون من الانتصار، عند ذلك يكون بإمكاننا أن ندرك كم كان من الممكن أن تنتصر تلك المجموعات المسلّحة في إيران، وأساساً كان تصوّر انتصار حركة مسلّحة في إيران تصوّراً مستحيلاً، بل لم تكن إمكانيّة لوجوده.

وإضافة إلى ذلك فإن الانقلاب العسكري لم يكن ممكن الوقوع أيضاً، فبعض هذه الثورات أو ما يسمّى بالثورات تبدأ بالانقلاب العسكري، بينما كان العسكريون في إيران يعيشون في إطار محدود تماماً حدّدهم من قبل الأمريكان في إيران. فكثير من العسكريين كانوا ناقمين على النظام الشاهنشاهي الظالم ولاسيما الضباط الشباب والمراتب، إلا أنّ أحداً لم يكن يجراً على التفكير في مواجهة النظام. ولو أردنا أنّ نقيس وضع الجيش في إيران، افترضوا أنّه كان يعيش في ظروف مماثلة لما يعيشه الجيش العراقي اليوم، فهو أسير تماماً في قبضة النظام الحاكم في العراق.

طبعاً كان العسكريون في إيران أشدّ أسراً من أقرانهم في العراق اليوم؛ لأنّ الرقابة عليهم لم تكن من قبل سلطة عليا فحسب، بل كان للأمريكان تواجد وإشراف مباشر في داخل الجيش، وكان يتواجد آلاف الأمريكيين في أكثر المعسكرات ولاسيما المعسكرات المهمة والحساسة وفي بعض القوّات أيضاً، على هذا لم يكن متصوّراً أن يقع انقلاب عسكري في إيران، كما أنّ الأحزاب السياسيّة التي كانت توجد في إيران كانت عاجزة عن التحرك تماماً.

فالأحزاب الوطنيّة التي تشاهدونها اليوم وهي تستغل الحرية والكرامة الموجودة لدى الجمهوريّة الإسلاميّة، وهؤلاء (السادة) الذين يتحدثون ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة وتجرى معهم المقابلات ويوزعون المنشورات ويتهمون الجمهوريّة الإسلاميّة بمصادرة الحريّات، هؤلاء السادة كانوا موجودين في تلك الفترة أيضاً، ولم يصدر منهم في ذلك التاريخ أي تحرّك - يمكن أن يسمّى تحرّك - في سبيل تحرير إيران.

فقسم منهم كانت تربطه علاقات صداقة مع رجال البلاط وكانوا مشغولين مع بعضهم في اللذات والشهوات، وبعضهم كان قد انشغل بأعماله المعيشيّة، وبعضهم كانوا مهندسين وأخصائيين، وقد كانوا يأخذون الأموال من أجهزة البلاط ويحصلون على لقمة العيش عن هذا الطريق.

وقد مرّت تلك الفترة على هؤلاء إلى أن قامت الجمهوريّة الإسلاميّة - والحمد لله - ووجد جوّ سياسي مفتوح وأصبح جميع أبناء الشعب سياسيين، والآن فقد انطلقت السنة هؤلاء.

إنّ الشعب الإيراني لا يثق بهذه الأحزاب السياسيّة وبما أنّه لا يثق بها ولا يتّجه نحوها فإنّها تحاول صبّ حقدّها ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة، فالشعب هو الذي لا يثق بهم وبأحزابهم وليس ذلك من تقصير أحد، فهل منع أحد الناس من أن يثقوا بتلك الأحزاب؟

وأفضل تلك الأحزاب في تلك الفترة هي الأحزاب التي كان يوجد فيها شخصان أو ثلاثة يمتلكون شيئاً من الشجاعة، فكانوا يصدرن بياناً في قضية ما، وطبعاً هذا البيان لم يكن يوزع على مستوى واسع بل كان يتداوله مؤيدوهم فقط، مثلاً كانوا يعترضون على مسألة ما في بيانهم، ثم كانت تأتي السلطات وتعتقلهم وتلقيهم في السجون وبعد ذلك تطلق سراحهم، أو أنها كانت تطلق سراحهم بعد إجراء مقابلة معهم، أو أن تنتهي فترة سجنهم فيطلق سراحهم، فكان أمثال هؤلاء من أفضل تلك الأحزاب، ومن ناحية أخرى لم يكن عمل هذه الأحزاب يثير تحركاً شعبياً في أوساط الشعب الإيراني؛ لأن الشعب الإيراني شعب متدين ويؤمن بالعلماء.

وهذه هي النقطة التي أدت فيما بعد إلى الانفجار العظيم للشعب ضد النظام الشاهنشاهي الفاسد.

ثم دخل الساحة مرجع تقليد يتفق الجميع على صلاحه، عالم دين ذو شأن عظيم كل من عرفه عرفه بالصلاح؛ حتى أن أعداءه كانوا يعترفون بأنه إنسان صالح، كل ما في الأمر أنهم كانوا ينسبون إليه بعض العيوب، مثلاً يقولون: إنه لم يعير لنا أهمية في المسألة الفلانية، أو إنه يؤمن بالنظرية الفلسفية الفلانية، إلا أنه إنسان صالح ومتق على مستوى عال وله مكانة علمية رفيعة.

والأهم من كل ذلك أنه دخل ساحة المواجهة مسدداً بالتسديد الإلهي، وعلى طول خمسة عشر عام استطاع أن يحرك معه عدداً من تلاميذه وزملائه على مستوى مراجع الدين الآخرين.

وحينما شاهد الناس أن العلماء هم المحركون للثورة بدأوا يدخلون ساحة المواجهة شيئاً فشيئاً في بداية الأمر ثم أخذوا يدخلون بأعداد كبيرة، وفي نهاية المطاف دخل عامة أبناء الشعب إلى ساحة المواجهة.

وفي عام 1977م قامت السلطات الشاهنشاهية بإبعادي إلى مدن مختلفة من البلاد، وحينما عدت من المنفى في أواسط أو أواخر عام 1978م ذهبت إلى مدينة مشهد المقدسة وما شاهدته في مشهد لم أكاد أصدقه، وعلى الرغم من سماعنا للأخبار حينما كنا في المنفى، إلا أن الحقيقة على الأرض كانت حقيقة عظيمة، فقد كانت التظاهرات متواصلة في مشهد ليل ونهار، وأن الناس هناك كانوا قد اعتادوا على الخروج في التظاهرات، وفي كل مكان كان الأمر كذلك.

فطهران كانت هي المحور ومن ثم المدن الكبيرة والصغيرة وحتى القرى والأرياف كانت تقام فيها التظاهرات والمسيرات.

إفترضوا أنّ الدعوة كانت تُعلن إلى القيام بتظاهرة من قبل الإمام - الذي كان في باريس تلك الأيام - أو من قبل العلماء الكبار في طهران أو المدن الأخرى، فكان الناس يخرجون على أثر ذلك إلى الشوارع كالسيل العارم، ومن ثم أخذت دوائر الدولة تلتحق بالشعب تدريجياً والتحق الموظفون.

ثم أخذ منتسبوا الجيش باللحوق في ركب الثورة، وحتى المسؤولين في النظام السابق أخذوا يلتحقون بصفوف الثورة أيضاً.

وهذا هو معنى انهيار نظام من الأنظمة، فقد انهار النظام الشاهنشاهي.

ففي اليوم الذي هرب فيه الشاه من إيران كان النظام منهاراً ومنتهيّاً، وقد رأى (الشاه) بأنّه لا فائدة من البقاء في إيران، فصنعت القوى الاستعماريّة من إنسان مسكين وسيء الصيت (شابور بختيار) صنماً، وكان مخططاً أن يبقوه في السلطة عدّة أيام، وقد بقي في تلك السلطة أربعين يوماً فقط، وحينما عاد الإمام إلى البلاد إنتهى كل شيء بإشارة صغيرة منه، فبسبب تواجد الشعب في ساحة المواجهة كان النظام قد انهار وتمزّق من الداخل.

فلماذا دخل الناس إلى ساحة المواجهة بهذه الصورة؟ لقد كان دخول الشعب من أجل الدين، من أجل أنّ الشعار كان شعاراً إسلامياً، من أجل تواجد العلماء في الساحة ومن ثقة الشعب بهم.

ففي أوساط الشعب كان يوجد عدد كبير ممّن يقمّ العون والمشورة للعلماء؛ حتّى أنّهم في بعض المدن كانوا يرشدون العلماء، إلّا أنّ عامّة الناس شاركوا في الثورة؛ لأنّهم كانوا يرون العلماء في المقدّمة، وفي القمّة كان يقف الإمام الذي كان مرجعاً للتقليد وعلى مستوى ديني رفيع، كما كانوا يشاهدون في كلّ مدينة العلماء المحترمين وهم يتقدّمون صفوف الثورة، وهكذا وقعت هذه الثورة العملاقة.

حسناً، كانت هذه الثورة ثورة إستثنائيّة، ثورة قامت نتيجة لتواجد أبناء الشعب وتضحياتهم، وهذا التواجد كان ناشئاً من العقائد الدينيّة لأبناء الشعب، حتّى أنّ نفس السياسيين الذين كانت لهم معنا اجتماعات في تلك الأيام، وحتّى تلك المجموعات المسلّحة واليساريين والشيوعيين الذين كانوا جميعاً تربطهم معنا علاقات وصدقات؛ سواء كان ذلك في داخل السجون أو خارج السجون كلّ هؤلاء كانوا يعترفون بأنّه لم يكن من الممكن أن يقع في إيران ما وقع إلّا بقيادة شخص كالإمام، وطرح هذه الشعارات الدينيّة، هذه حقيقة وقعت أمام أعين الجميع، وكلّ من له مستوى علمي لا يمكنه أن يقول غير هذا.

وفي الأيام الأولى لانتصار الثورة لم يقل أحد غير هذا باستثناء بعض الزمر الوقحة الذين أخرجتهم الثورة.

ودخل الشعب ميدان الثورة بعد أن خرج من السجون التي كان قابلاً فيها لسنوات طويلة (4 أو 5 سنوات).

وبمجرد خروجهم من السجن قاموا برفع أعلامهم أمام الجماهير فقامت الجماهير بتمزيق تلك الأعلام ورميها بعيداً، ومن ذلك الحين أضمرنا العداء لأبناء الشعب وابتعدوا عنهم وأخذوا يفجرون القنابل في بيوت الناس ومحلاتهم التجارية وفي الساحات العامة في طهران والمدن الأخرى. فباستثناء هؤلاء المعاندين الذين لم يكونوا على استعداد لقبول الحق فقد كان أي إنسان ينظر بعين الإنصاف إلى هذه الثورة كان يرى تلك الحقائق واضحة أمامه.

طبعاً إلى جانب هذا أقول: إن هناك عوامل وأسباب كثيرة ساعدت على انتصار الثورة، فكل من تكلم بكلمة فقد ساعدت كلمته بمقدار كلمة في انتصار الثورة، ولكن مساعدة الثورة بكلمة واحدة ومائة كلمة شيء وتحريك أمواج الثورة شيء آخر. وأساساً لا يمكن القياس بين الاثنين، فلا يكن هؤلاء كذاك الرجل الذي ألقى رجل جرادة في قدر طعام مئة نفر ثم قال أنا صاحب الطعام " فيعتبروا أنفسهم من المحركين للثورة ومن قادتها.

طبعاً جميع أبناء الشعب كانوا هم أصحاب الثورة، أولئك الذين وضعوا أرواحهم في مواجهة العدو، فهل يوجد شيء أكبر من هذا؟ إفترض أنني أقيت ألف محاضرة وخطاب، فهل لهذه المحاضرات والخطب قيمة بقدر نفس إنسان؟ هذا الإنسان الذي تقدّم وقدم نفسه وسبقنا، فلو أردنا أن نتحدث بإنصاف، ويجب أن نتحدث هكذا وبهذه الصورة.

أمّا المسألة الأخرى التي تأتي عقب هذه المسألة فهي: إن مثل هذه الثورة العظيمة انتصرت بقوة الشعب وإرادته وبقادة أو قيادة اعتمدت بشكل كامل على عواطف الشعب، والشعب كان يحبها ويعشقها.

حقوق الشعب في نظر الثورة

فماذا كان يجب أن تقوم به هذه الثورة؟ إن أول عمل هذه الثورة هو إلغاء الامتيازات الظالمة التي حصل عليها الأجانب طوال هذه السنوات في هذه البلاد، وهذا

شيء طبيعي، فكل محبّ لوطنه كان ناقماً من أن يرى بريطانيا (مثلاً) جاءت وسيطرت على النفط الإيراني، وكل محبّ لوطنه كان يصيبه الحزن حينما يعلم بذلك.

فكثير من رجال الدولة في الفترات السابقة وأعضاء مجلس الشورى الوطني في دوراته الثلاث الأولى - قيل أن يسيطر رضا شاه - الذين كانوا ممثلين حقيقيين ومنتخبين من قبل الشعب، كانوا معارضين لمنح الإمتيازات للدول الأجنبية، وحتى أن كثيراً من الشخصيات الوطنية الحقيقية لم يكونوا على استعداد لمنح الإمتيازات للأجنبي، إلا أنهم لم يكونوا يجرون على إبراز ذلك؛ لأن الشعب لم يكن يسانداهم بسبب عدم وجود مكانة شعبية لهم بين أوساط الشعب.

فحينما كان رئيس الوزراء يتفوه بكلمة يُشمّ منها رائحة معارضة المصالح الأجنبية، كان يعزل من منصبه مباشرة، وعندما كان رجل دولة يتكلم بكلام تُشمّ منه رائحة الإعتراض على الامتيازات الأجنبية كانوا يبادرون إلى عزله فوراً.

فلو كان هذا الشخص كالمرحوم السيد المدرّس (رض) مقاوماً وصامداً بالرغم من الإعتداء عليه ونفيه ومن ثم قتله وهو صائم على يد شقي مثل رضا شاه، إلا أن هؤلاء لم تكن لهم شجاعة مدرّس وإيمانه، فحينما كانوا يتفوهون بكلمة وينظر إليهم الأجنبي بعين الغضب كانوا يبادرون إلى السكوت فوراً، ولهذا فقد إزدادت الإمتيازات الأجنبية في إيران يوماً بعد يوم.

أيها الأخوة والأخوات في جميع أرجاء البلاد! لقد اكتُشف في هذه البلاد مصدر للثروة بإسم النفط، وكان هذا المصدر كالكنز الذي عثر عليه الشعب، وبمجرد إكتشاف هذا الكنز في هذه البلاد توافد الأجانب على إيران ولاسيما بريطانيا- وتبعية هذا الأمر تقع على عاتق بريطانيا - وسيطروا على هذا الكنز واستخرجوه ونهبوه لسنوات طويلة من دون أن يفكروا أنه مغتصب وأنه ملك للشعب الإيراني.

فهل هذا الأمر لا يحزّ في النفس؟

إن مسألة النفط هي إحدى المسائل المؤلمة جداً بالنسبة للشعب الإيراني، وهي مسألة لم توضح لحد الآن بصورة كاملة، فقد جاء المستعمرون وأبرموا إتفاقية مع رجال الدولة الخائنين في العهد القاجاري لمدة ستين عاماً، وهي إتفاقية (دارسي الأولى)، أي أنه أصبح لهم الحق - ولمدة ستين عاماً - باستخراج النفط من إيران ووضعته تحت تصرفهم، وقد نتيج من هذه الإتفاقية أمران: الأول: سرقة النفط من الشعب الإيراني وحرمانه من ثروته وحقه الطبيعي. الثاني: تعثر سير عمل المصانع ذلك لأن عجلة تلك المصانع كانت تتحرك بالنفط.

ولهذا فقد كان النفط الإيراني أثنى شيء بالنسبة لبريطانيا، فجاءت إلى إيران وأخذت النفط بقيمة زهيدة جداً، بحيث لو أنها كانت تأخذ برميل من الماء لكلفها أكثر من قيمة برميل من ذلك النفط، وكما قلنا فقد أبرموا إتفاقية لمدة ستين عام في هذا المجال.

وبعد ذلك جاءوا برضا شاه إلى الحكم لأنهم - الإنجليز - كانوا يبحثون عن شخص يتمكن من القضاء على الخارجين والمتمردين على الحكومة المركزية، والذين كانوا قد تمردوا في مختلف أنحاء إيران في زمن الحكومة القاجارية، وكان كل واحد منهم يتخذ لنفسه مسلكاً معيناً بحيث أصبح من الممكن أن يشكّلوا - في السنوات الأخيرة من عهد تلك الحكومة - خطراً على المصالح البريطانية في إيران.

فلذا كانت بريطانيا تريد شخصاً يضع حداً لتصرفات هؤلاء، ويُجلس كل واحد منهم في مكانه، وكانت تريد أن يكون ذلك الشخص إستبدادياً لا يعرف سوى منطق القوة ويكون في الوقت ذاته عميلاً وتابعا لهم، فوقع اختيارهم على رضا خان وأعدّوه الإعداد الذي يريدون وأوصلوه إلى المكانة التي كان يجب أن يصل إليها ومن ثم جعلوه حاكماً مطلقاً على إيران.

فأصبح قائداً للجيش في أول الأمر ثم رئيساً للوزراء وأخيراً نصبوه ملكاً على إيران.

وبعد مرور عدة سنوات فكر رضا شاه أن يأخذ من بريطانيا مبالغ أكبر من المال - إذا أمكنه ذلك - ثمناً للنفط الذي كانت تأخذه من إيران، طبعاً عمالته كانت محفوظة في محلها، ولكن قد يفكر العميل في بعض الأحيان أن يأخذ من أسياده أكثر مما منحوه، وبما أن طبيعة رضا شاه كانت طبيعة إستبدادية، فقد تعامل مع هذه القضية بنفس المنطق، فطرح المسألة أولاً في مجلس الوزراء ثم قام بإلغاء ملف إتفاقية دارسي في المدفأة وأحرقه.

فكم كان متبقياً من مدة تلك الإتفاقية؟ لقد كان متبقياً منها ثلاثين عام، فقال رضا شاه إن هذه الإتفاقية غير عادلة ويجب على بريطانيا أن تمنحنا أكثر من هذا.

ومن كان ممثلاً للحكومة الإيرانية في تلك الإتفاقية؟ كان الطرف هو إحدى الشركات البريطانية، وبمجرد أن قام رضا شاه بهذه الخطوة، تدخلت الحكومة البريطانية وأثارت ضجة ضده ومرّغت أنفه بالتراب، بحيث جعلته يقوم بتمديد العمل بتلك الإتفاقية - التي بقي على نهاية العمل بها ثلاثين عاماً - ستين عاماً أخرى.

هذا ما قامت به بريطانيا في مسألة النفط، واستمر تصرفها هذا حتى زمن النهضة الوطنية ومجيء الدكتور مصدق إلى الحكم حيث نقضت هذه الإتفاقية.

وبعد ذلك جاءت حكومة الانقلاب العسكري [الذي أطاح بالدكتور مصدق]، فعاد الإنكليز ولكن بالإشتراك مع أمريكا هذه المرة ودخل الأمريكان هذه اللعبة أيضاً منذ سنة 1953 م.

وهنا أريد أن أقول: إنّ الشعب الإيراني لو لم يَمح عن قلبه الحقد والبغض ضد الحكومة البريطانية، فإنّ الحق معه بنظر كل إنسان عاقل.

فهذه الحكومة الظالمة والمعتدية وهؤلاء الذين يقعون اليوم في زاوية من العالم ويتحدثون بأحاديثهم المغرضة والفارغة ضد الحكومة والشعب الإيراني، وقد نسوا ما ارتكبه بحق هذا الشعب، طبعاً، إنّ الله سبحانه وتعالى قد أدلّهم وسلب منهم تلك القوة والقدرة بحيث لم يبق لبريطانيا في الوقت الحاضر احترام أو قوة تذكر في العالم.

وبمجرد ما شعر الأمريكان بأنّ الساحة مفتوحة أمامهم وأنّ الإنكليز لا يستطيعون السيطرة عليها وحدهم، بادروا إلى دخول تلك الساحة أيضاً، ومنذ عام 1953م وحتى انتصار الثورة الإسلامية سيطرت أمريكا وبريطانيا على آبار النفط الإيراني وقاموا بنهب هذه الثروة بكل ما وسعته قدرتهم وإمكاناتهم، فهل تريدون من الشعب الإيراني أن يصفّي قلبه مع هؤلاء؟

إنّ، كان النظام البهلوي عميلاً لهذه الدول ومحمد رضا بهلوي كان يتصرف وكأنه شرطياً لأمريكا في إيران، فكانوا يأمره بتعيين رئيس الوزراء الفلاني، وعزل رئيس الوزراء الفلاني. وهو ينفذ كل ما يطلبون منه، ولو كان يريد في بعض الأحيان أن يعزل رئيس الوزراء إلا أنّ الأمريكان لم يكونوا موافقين على ذلك، كان يذهب إلى أمريكا ويلتقي بهذا وذلك ويتباحث مع هذا وذلك حتى يسمحوا له بعزل رئيس الوزراء الفلاني.

هذه هي الحالة التي كانت سائدة في البلاد، والسفير الأمريكي والبريطاني في طهران هما اللذان كانا يحددان الخطوط الأساسية لسياسة البلاد.

فهل تدركون الآن لماذا يغضب الأمريكان؟ وهل تدركون لماذا يقوم المسؤولون الأمريكان بجولات في العالم - ولاسيما وزير خارجيتهم القبيح والكريه - ويصرّحون بأننا نريد الضغط على الحكومة الإيرانية حتى تغير من سياساتها، فما هي السياسات التي يريد هؤلاء أن تتغير؟ ففي يوم من الأيام كان حاكم هذه البلاد - ذلك الشخص الذي كان موجوداً في إيران - بإسم شاه إيران، ذلك المسكين المسود الوجه الذي كان يمثل الأوامر التي كانت تصدر إليه من سفير أمريكا وبريطانيا، وينفذ كل ما يقولون له في المسائل الأساسية للبلاد.

بينما هم يواجهون اليوم نظاماً لا يعير أهمية لأهداف أمريكا في أي عامل من عوامل سياساته الأساسية، يواجهون نظاماً كانت أول خطوة قام بها هي إلغاء الإمتيازات التي حصلوا عليها في إيران، وهذه حقيقة لا شك فيها في باب الثورة الإسلامية.

أمّا المسألة الثانية فهي: بما أن الثورة أوجدت نظاماً شعبياً، وبما أن هذه الثورة كانت تعتمد على الشعب، وبما أن قائد هذه الثورة كان محبوب الشعب والشعب يقف خلفه، فلذا لم تنتظر هذه الثورة مرور الوقت لإلغاء الإمتيازات الأجنبية، بل قامت بإلغاء تلك الإمتيازات بعد انتصارها مباشرة.

طبعاً، إننا لم نقطع علاقاتنا مع أمريكا في بداية الثورة بل بقت هذه العلاقة وإلى عدة أشهر بعد انتصار الثورة قائمة مع أمريكا، وإنما ألغيت الإمتيازات الأمريكية فقط. إلا أنهم كانوا يريدون نهب النفط الإيراني، فقلنا لهم لا يمكن ذلك، كانوا يريدون الاستفادة من عوائد الاستثمارات الظالمة التي كانت موجودة في إيران والتي كانت مستثمرة من قبل نفس الحكومة الإيرانية، فقلنا لهم لا يمكن ذلك، كانوا يريدون أن يكون لهم وجود في الجيش ولاسيما في القوة الجوية، فقلنا لهم لا يمكن ذلك، كانوا يريدون أن تكون قاعدتهم التجسسية - السفارة الأمريكية السابقة - فعالة ونشطة، فقلنا لهم لا يمكن ذلك.

فبقيت سفارتهم بعد انتصار الثورة مفتوحة لعدة أشهر وكان لهم سفير ومسؤولون وموظفون في تلك السفارة.

وبعد ذلك ذهب طلبة الجامعة وسيطروا عليها، فوجدوا أن تلك السفارة كانت مركزاً للارتباط مع العناصر المعادية للثورة ولنظام الجمهورية الإسلامية، كانت وسيلة للأخذ والعطاء السياسي، وسيلة لدعم هذا الشخص وربطه بذاك، وهي نفس المهمة التي كانت تقوم بها السفارة البريطانية قبل الثامن والعشرين من مرداد 1953 م وهو يوم وقوع الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكومة الدكتور مصدق] فقد كانت تتصل بهذا وذاك وتربط هذا بذاك وتعطي الأموال لفلان وتسلم السلاح لآخر وترسم الخطط لفلان، كل ذلك من أجل أن يقع شيء ضد الجمهورية الإسلامية، ولذا فقد أطلق الشعب الإيراني إسم وكر التجسس على تلك السفارة، ولم يكن الواقع غير ذلك، فذلك المكان كان حقاً وكرّاً للجاسوسية.

إن، المسألة الثانية هي قيام الجمهورية الإسلامية بإلغاء المصالح الأمريكية والبريطانية في إيران، وإن أغلب الذين ألغيت مصالحهم غير الشرعية في إيران كانوا

من هاتين الدولتين، طبعاً إننا إحتفظنا بعلاقتنا مع دول العالم، وإلى الآن لنا علاقات سياسية مع بريطانيا، إلا أنّ هذه العلاقة برأبي من نوع العلاقات المترعزة، والسبب في ذلك هو أن البريطانيين لا يستطيعون الإمتناع عن إبراز عدائهم للثورة الإسلامية، وبين الحين والحين يقومون بلدغنا، وتصرفات الحكومة البريطانية هي هكذا دوماً، وبرأبي فإن الأفضل للحكومة البريطانية أن تكون حذرة أكثر في تعاملها مع إيران؛ لأنّ ماضيها في إيران ماض أسود وسيئ للغاية، وبما أن الشعب والحكومة الإيرانية إحتفظت بعلاقة سياسية مع تلك الدولة، فعلى البريطانيين أن يتصرفوا بحذر كبير، فلا يتحدثوا بشيء يشعر من خلاله الشعب الإيراني بأنهم ما زالوا يحتفظون بنفس أهدافهم الخبيثة التي عملوا وفقها عشرات السنين، وإن كانت بريطانيا ليست بريطانيا تلك الأيام، لأنّ بريطانيا تلك الأيام قد انتهت.

الجمهورية الإسلامية انتصار للإسلام والمسلمين

المسألة الأخرى التي أود التعرض لها في مسألة الثورة أيضاً - طبعاً لقد أطلت عليكم في الكلام وأنا ملتزم أن تكون الخطبتين قصيرتين، ولكن بما أننا في شهر رمضان، فلا مانع من استغلال هذه الفرصة بشكل أكبر - هي: أنّ من المميزات المهمة لهذه الثورة هي منحها العزة للإسلام والمسلمين على المستوى العالمي، وهذا أمر واقع ولا يرقى إليه الشك.

فالمسلمون في أي مكان من العالم سواء كانوا مجتمعات إسلامية أو دول إسلامية أو شخصيات إسلامية كان ينتابهم الشعور بالإنفعال من الظروف التي كانت تمر بهم، ولم يكونوا يعيرون أهمية لوجودهم ورسالتهم، وكانت هناك مجموعة من المفكرين المسلمين المخلصين تدافع عن الإسلام؛ ولكن لم يكن دفاعهم قائماً على أساس الشعور بالعزة والاقترار، بل كان قائماً على أساس الحب والتحرق على الإسلام فقط، لأن الإسلام كان يعيش الغربية.

وفي كل هذا العدد من البلدان الإسلامية في أفريقيا وآسيا وفي الشرق الأوسط كم من الأنظمة جاءت إلى الحكم وكم من الأنظمة انهارت، وفي جميع هذه البلدان كان الإسلاميون يعيشون العزلة والإنزواء.

إفترضوا بلداً كالعراق - مثلاً - كان يحكم فيه نظام ملكي ثم سقط ذلك النظام وجاءت جماعة أخرى إلى الحكم، ثم ذهب هؤلاء وجاء آخرون إلى الحكم و.... إلى أن وصل الأمر إلى البعثيين، ففي جميع هذه الأحداث والتحويلات لم يكن للإسلاميين أي

دور، وبالرغم من وجود هذا العدد من المسلمين - لأنّ الغالبية العظمى من الشعب العراقي هم من المسلمين - إلاّ أنّه لم يكن لهم أي دور في جميع هذه التحولات. أو في مصر - وإن كان يوجد فيها الإخوان المسلمين - حدث هناك تغيير حيث سقط النظام الملكي وقام النظام الجمهوري الثوري وكان عبد الناصر موجوداً أيضاً، وبعد ذلك توفي عبد الناصر وجاء شخص آخر، ثم ذهب ذاك الشخص وجاء شخص ثالث.

ففي هذه الفترة - قبل انتصار الثورة الإسلامية - كانت جميع هذه الأحداث تقع بمنأى عن الخط الإسلامي والعناصر الإسلامية، ولم تكن للعناصر الإسلامية أية مكانة فيها.

فنفس الثورة المصرية كان للعناصر الإسلامية دور فعّال فيها، ولكن بمجرد قيام الحكومة الجديدة أبعدت تلك العناصر عن الساحة، فسجنت بعضهم وأعدمت البعض الآخر وأخرجت الآخرين عن الساحة، فلم يكن للإسلام وجود، ولكن حينما انتصرت الثورة الإسلامية شعر كل مسلم واع أينما كان في العالم بأنّه أصبح يتمتع بالعزة والافتدار.

فكثير من الشخصيات الإسلامية البارزة كانوا يقولون لنا في السنوات الأولى لانتصار الثورة: إننا وبمجرد سماعنا لصوت الإمام من الإذاعات وهو يعلن قائلاً: "إنني سأقيم حكومة أو جمهورية على أساس الإسلام" شعرنا وفي أي مكان كنا بأننا قد انتصرنا، وكل مسلم وأينما كان شعر بأنّه قد أنتصر وحصل على العزة والكرامة.

وصحيح بأنّ قادة المسلمين والشخصيات الإسلامية من المفكرين الإسلاميين والشعراء والفنانين والسياسيين وعلماء دين في السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من انتصار الثورة الإسلامية حينما كانوا يأتون إلى إيران - وما زالت الحالة كذلك كل ما في الأمر أنّه حدثت في الوقت الحاضر أمور جديدة نتيجة لمرور الوقت، وسأعرض لذلك فيما بعد - وبمجرد ما كانت تقع أعينهم على الإمام أو على تلك الحسينية - حسينية جمران - أو تقع أعينهم علينا أو على المسؤولين في البلاد أو على مراسم صلاة الجمعة كانوا يشرعون بالبكاء، وكانوا يقولون ماذا فعلتم بالعالم الإسلامي.

فكانوا يشعرون بالعزة من انتصار الثورة، ونفس هذا الشعور بالعزة والكرامة هو الذي أدى فيما بعد إلى تفجير روح الحماس في نفوس المسلمين في دول آسيا وإفريقيا، تلك الأحداث التي أصبحت الشغل الشاغل للأمريكيين والمستكبرين في العالم في الوقت الحاضر.

وهم حينما يقولون أنّ الجمهورية الإسلامية تهدد مصالحنا، وأنّ إيران تشكّل خطراً علينا، كل ذلك بسبب القلق الذي ينتابهم من هذه الثورة.

فانظروا إلى الجزائر ومصر، وانظروا إلى فلسطين المحتلة حيث كانوا يتصورون أنّ كل شيء قد انتهى هناك، بينما تشاهدون الآن حماس الذي عليه المسلمون هناك والكفاح العظيم الذي يخوضونه ضد العدو.

انظروا إلى قلب أوروبا وما يجري في البوسنة والهرسك وكيف أنّ جمعاً من المسلمين وبدوافع إسلامية - بالرغم من أنّهم لا يعرفون الشيء الكثير عن الإسلام إلا أنّ الدوافع الإسلامية والشعور الإسلامي، وهو نفس الشعور الذي منحتم إياه الثورة الإسلامية - كيف أنّهم وقفوا ضد أعدائهم.

حتى إنني حينما دخلت إلى شوارع سراييفو وسمع الأهالي بمجي رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران إلى هناك - لأننا كنا ضيوفهم وقد قامت الإذاعة والتلفزيون والصحف في سراييفو بنشر صور وتفصيلات زيارتنا لبلغراد وبعد ذلك طلبت زيارة البوسنة والهرسك - فملأوا الشوارع في سراييفو، فكان الرجال والنساء يبكون ويصفقون؛ بسبب الشوق الإسلامي والروح الإسلامية التي كانوا يمتلكونها.

فهذه العزة الإسلامية والاعتزاز بالإسلام والتفاخر والمباهات بالإسلام قد أحييت لدى المسلمين من جديد وأصبح الإسلام عزيزاً، وشعر المسلم بأنّ الإسلام سبب للعزة. وهذه كانت من بركات الثورة الإسلامية وتمثّل أحد أبعاد هذه الثورة المباركة وكما يقال فإنّ هذه النقطة تمثّل العمق الإستراتيجي لثورتنا والذي يريد المستكبرون أن يسلبوه منا.

فلو كانت لدى إنسان خيمة - مثلاً - وفيها عشرة مرتبطة بأوتاد قوية وثابتة في عشرة أماكن، فكيف تكون هذه الخيمة من القوة والإستحكام بحيث لا يستطيع أي إحصار أن يحركها، وعندما تلاحظون بأنّ الشعوب الإسلامية في أوروبا وآسيا وأفريقيا تتكلم لصالح الثورة وتدعم فتوى الإمام بهذه الصورة وتستقبل آخر جمعة من شهر رمضان [يوم القدس] والأمور الأخرى بهذا الشكل الرائع وتطلق الشعارات الإسلامية، كل ذلك يُمثّل عمقاً استراتيجياً للجمهورية الإسلامية، هذا العمق الذي لا يتحمّل الأعداء مشاهدته.

دور الإعلام المعادي

هناك مسألة مهمة جداً تختصّ بالجانب الإعلامي في خلق الشائعات.

فإحدى أهم الظواهر وأكثرها أساسيةً فيما يرتبط بالثورة الإسلامية - ومن المحتمل أنها نادراً ما كانت موجودة بالنسبة لظاهرة أخرى في العالم بهذه الصورة - هي مسألة الحملات الإعلامية وبتّ الدعايات الكاذبة والمعادية للجمهورية الإسلامية.

أيها الأخوة والأخوات! إنّ القوى المعادية للثورة الإسلامية وللإسلام كالحكومة الأمريكية والحكومة البريطانية والصهاينة - الصهاينة ودولة (إسرائيل) الغاصبة هما آلة بيد أمريكا، وأساساً أنّهم أقاموا هذه الدولة في هذه البقعة لكي تنفذ مخططاتهم - ووكالات الأنباء والمحطات التلفزيونية التابعة لهم قامت ومنذ اليوم الأول للانتصار الثورة الإسلامية وإلى اليوم بتوجيه الإعلام المعادي ضد الجمهورية الإسلامية بصورة كبيرة وبنوعية عالية، وأشاعوا كلما ورد على ألسنتهم من أكاذيب، ففي مسألة حقوق الإنسان - مثلاً - حيث من الممكن أن يكون بعض الناس في العالم ممن يصدّقون بذلك، ولكن هذه المسألة هي من أكاذيب هؤلاء أيضاً.

فهم يقولون بأنّ حقوق الإنسان تنتهك في إيران وحينما نسألهم أن يؤثروا بما يثبت ذلك، فإنّهم يقدّمون لنا قائمة بأسماء مجموعة من الأشخاص ويقولون إنكم أعدمتم هؤلاء الأشخاص، فمن هم هؤلاء؟ إنهم مهربوا المخدرات، مهربوا الهيرويين والمورفين والذين لو أمكن أن يعدموا أكثر من مرة لكانوا مستحقين لذلك.

فهل هذا انتهاك لحقوق الإنسان؟

يتّهموننا بالإرهاب، فما هو دليلكم على أن إيران دولة إرهابية؟ وتقوم بتصدير الإرهاب؟ فيقولون لاحظوا ماذا يفعل الناس في لبنان وفلسطين، حسناً فما هي علاقة ذلك بإيران؟ في فلسطين هناك مجموعة عرفت مسؤولياتها، نعم لاشك في أنّها استلهمت تلك الروح من الثورة الإسلامية، وفي لبنان هناك أناس تيقظوا ويقولون لكم لماذا أتيتم بـ(إسرائيل) الغاصبة والصهاينة الذين ليس لهم وطن وسلّطتموهم على فلسطين ولبنان؟ فما علاقة هذه المسألة بإيران.

هناك مجموعة تدافع عن بلادها فهل هذا إرهاب؟ وحينما يقوم هؤلاء بهذه الأعمال فهل هذا يعني بأنّ إيران قامت بتصدير الإرهاب؟ انظروا إلى ضعف وتفاهة دليلهم، وذلك لأن أهل الباطل حجّتهم داحضة.

إنهم يبثون الشائعات في الأمم المتحدة ويطرحونها في لجنة حقوق الإنسان، وبعد ذلك تقوم الصحف بنشر ذلك، ومن ثمّ تبادر صحف أخرى للتصدي لهذا الأمر، ثمّ تطرح هذه المسألة في الإذاعات ومحطات التلفزيون، وبعد فترة يصيبهم الإرهاق فيسكتوا، وبعد شهر أو شهرين يعيدون الكرّة من جديد ويقومون بتكرار نفس المسائل،

وهم يعملون على هذا المنوال منذ اليوم الأول لانتصار الثورة، طبعاً هناك بعض السذج الذين يصدّقون تلك الشائعات.

ولكن ما هو الهدف من هذا الإعلام؟ ومن خلق وبث كل هذه الشائعات الكاذبة؟ الهدف هو القضاء على المكانة العظيمة التي تحتلها ثورتنا في أوساط المسلمين وغير المسلمين، فكلما تسمعون من أخبار كاذبة في وكالات الأنباء ووسائل الإعلام منشؤها هؤلاء، إنهم يحالون الإنتقام منا، وأنّ النظام الأمريكي والمستكبر والنظام البريطاني اللذين كانت لهما مصالح كبيرة في إيران، وقد قامت هذه الثورة وهذا الشعب بإلغاء هذه المصالح، يعطيان لأنفسهما الحق في الإنتقام من هذا الشعب، لأنّهم أعداء، ثم يأتي ممن يدعي التعقّل ويطالبنا بأن نفكّر تفكيراً عقلائياً.

إنّ هؤلاء موتورون من هذه الثورة، ولن يرضوا إلاّ بسقوط الثورة، ويقال لهم تفضّلوا أيّها السادة اللصوص وسيطّروا على إيران مرة أخرى، إنهم لا يرضون إلاّ بهذا ولا يرضيهم أقلّ منه.

وأما الصهاينة فلمهم الحق في معاداتنا أيضاً، إننا نقول يجب إقتلاع جذور الصهيونية من منطقة الشرق الأوسط، الصهيونية التي قالت عنها الجمهورية الإسلامية كراماً بشكل رسمي وقاطع، وستبقى تقول بأنّها يجب أن تُمحي من الوجود، فهل تريدون منها أن لا تكنّ العداة للثورة الإسلامية. هذه هي حقيقة القضية.

فهم يختلقون الشائعات ويبتدعون الأكاذيب، طبعاً، إنّ إعلامهم أقوى من إعلامنا، فليس لدينا كل هذه الوسائل والأجهزة المتطورة، كما أن لديهم تواجداً إعلامياً في كل مكان وينفقون الأموال الطائلة في هذا المجال ولهم إذاعات كثيرة، وهم يهدفون من إعلامهم المكثّف هذا، التسلل إلى الداخل. وفي الخارج يريدون تجهيز أعدائنا ويعزلون أصدقائنا عن الثورة.

صحيح أنّهم يقومون بكل هذه النشاطات الإعلامية الواسعة، ولكنّ إعلموا أيضاً أنّه يوجد بعض المسؤولين في تلك الدول ممن يمتلك ضميراً حياً ويرون الواقع ويشاهدون بأنّ هذا الواقع هو غير ما ينعكس في وسائلهم الإعلامية، إلاّ أنّ العداة الجنوني الموجود لدى هذه الأنظمة يبلغ حدّاً بحيث يمنع هؤلاء من التحدّث، وإنّ تحدّثوا فإنهم سيسحبون كلامهم فيما بعد.

فمن بين الأمريكيان والبريطانيين يوجد من يملك ضميراً حياً ويدرك الحقيقة ويعترض على هذه الأنظمة لمعاداتها للجمهورية الإسلامية بهذا الشكل السافر، إلاّ أنّ

الهيجان الجنوني للأعداء من الحدة والكثافة بحيث إنه يؤدي إلى ضياع تلك الكلمات وسط الصيحات الجنونية التي تطلقها وسائل الإعلام هناك.

وأنا أريد أن أؤكد هنا شيئاً واقعياً لأبناء الشعب، وهو أن كل هذا العداء وكل هذا الإعلام المعادي وكل هذا الحقد هو أصغر بكثير من قوة واقتدار والحقيقة المتأصلة لثورتنا وأدنى منها بكثير.

إن الثورة أعظم وأكبر بكثير من كل هذه الأمور، فلاحظوا أنهم عملوا خلال الـ (15 أو 16) عام بكل ما استطاعوا وكل ما بلغه جهدهم، بينما نحن اليوم أقوى - بفضل الله - مما كنا عليه قبل خمسة أعوام، وقبل خمسة أعوام كنا أقوى من قبل عشرة أعوام، وقبل عشرة أعوام كنا أقوى من قبل خمسة عشر عام وأوائل الثورة، فيوماً بعد يوم يزداد - بفضل الله - هذا النظام وهذا الشعب قوة ولا يوجد شك في أن العدو عاجز أمام هذه الثورة.

وهذا نفسه يعدّ شاهداً على أنهم بذلوا كل جهودهم وإمكانياتهم من أجل توجيه ضربة لهذه الثورة وفيما بعد سيكون الأمر كذلك أيضاً.

طبعاً، إننا لا يجب أن نستهن بالعدو وإمكانياته، بل يجب علينا أن نكون يقظين وحذرين دوماً.

وإنني أقول للشعب الإيراني العزيز بأن الثورة ستبقى مصونة أمام الضربات التي تحاول النيل منها، إلا أن هناك مسؤوليات تقع على عاتقكم في هذا المجال وهي:

أولاً: حافظوا على وحدتكم.

ثانياً: عمّقوا روح التقوى في نفوسكم، عمّقوا التوكل على الله في قلوبكم وأعلموا بأنّ السر في الإمام - رض - الذي كان يوماً من الأيام وحيداً ولم يخضع أمام القوة الظاهرية للعدو يكمن في أنه كان متوكلاً على الله ومرتبطاً بالقدرة الإلهية، وحينما يرتبط الإنسان بالقدرة الإلهية الأبدية فسوف لا يمكن الانتصار عليه.

كما يجب عليكم إيصال هذه البلاد وهذا النظام إلى النقطة التي يكونان معها مصونين أمام جميع الضربات.

فمن الذي يجب أن يقوم بهذه المهمة؟ إنّ الشعب الإيراني والحكومة الإيرانية والمسؤولين في البلاد يجب عليهم أن يتكاتفوا جميعاً كي يجعلوا هذا النظام مصوناً بصورة تامة، ويجب عليكم تحكيم قوتكم واستخراج الثروات الطبيعية وتوظيفها في خدمة وإعمار هذه البلاد، كما أنّ عليكم تنمية الإنتاج والإعمار في هذه البلاد يوماً بعد يوم، وعلّيكم بتعميق العلاقة بين الحكومة والشعب يوماً بعد يوم - الحكومة تجاه الشعب

والشعب تجاه الحكومة - ويجب عليكم الإبقاء على شعارات الثورة حية، ويجب علينا تعميق روح الثورة في جميع أركان هذا النظام يوماً بعد يوم. فلو قامت هذه الدولة على قدميها، ولو اعتمدت على الله وسارت في طريقها، فهي لا تحتاج إلى أحد، كما يجب عليكم السيطرة على روح الإسراف التي تتزايد يوماً بعد يوم عند بعض الناس.

فلماذا الإسراف، ولماذا يذهب الإنسان إلى محل تجاري يقوم صاحبه بإهانة ذلك الإنسان ويريد له الشرّ، فلو ذهبتم أنتم أو عوائلكم أو أولادكم إلى محل تجاري وصاحب المحل يبيعكم السلعة التي تريدونها، إلاّ أنّه يحاول إستغلالكم فسوف لا تذهبون إلى هناك مرة أخرى؛ لأنّه يبيعكم السلعة ولكنه يضرر لكم السوء، يبيعكم السلعة إلاّ أنّه يبيت لكم الشر، فمن الطبيعي أنكم لا تذهبون إلى هذا المحل مرة أخرى. إذن، فلماذا نذهب عند أناس يضررون الشرّ والسوء لنا؟ لماذا نقيم علاقات تجارية ومالية مع الذين يريدون توجيه السوء لنا من أعماق أنفسهم؟ لماذا؟ وما الضرورة في ذلك؟

فلنسعى للإعتماد على أنفسنا ولنحیی مصادر ثروتنا. فالشعب الإيراني شعب عظیم وفيه طاقات هائلة ومصادر الثروة في إيران كذلك أيضاً.

فلنتوكل على الله، وشهر رمضان هو شهر الدعاء والتضرع إلى الله تبارك وتعالى. وإِنِّي أسأل الله أيضاً أن يشملكم برحمته وفضله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .